حـــرف الـطـــاء

حرف الطّاء
الطّارىء يُزيل حُكْم الثّابت

عقد له ابن جنّي باباً في (الخصائص)[١] وفيه فروع :

منها : لام التّعريف والإضافة إذا دخلت على المنوّن حذف لها تنوينُه .

ومنها : ياء النّسبة إذا دخلت على ما فيه تاء التأنيث حذفت لها التاء .

وإذا دخلت على ما فيه ياء مثلها نحو : كُرسيّ وبُخْتيّ[٢] حذفت لأجلها .

ومنها : علامة الجمع بالألف والتّاء إذا دخلت على ما فيه التّاء حذفت لأجلها نحو : تمرة وتمرات .

ولو سميت رجلاً أو امرأة بهندات لقلت في الجمع أيضاً هندات بحذف الألف والتاء الأولين لا الأخريين .

---

(١) انظر الخصائص ٣/٦٢

(٢) بضم الباء البُخْتُ الإبل الخراسانية كما في القاموس .

ومن ذلك : نقض الأوضاع إذا طَرَأَ عليها طارىء كلفظ الاستفهام إذا طرأ عليه معنى التعجّب استحال خبراً كقولك : مررت برجلٍ أي رجل أو أيما / رجل ! فأنت الآن مُخْبِرٌ بتناهي الرّجل في الفضل ، [٢٣١] ولست مستفهماً، وإنما كان كذلك، لأن أصل الاستفهام الخبر ، والتعجّب ضربٌ من الخبر، فكأن التعجّب لما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى اصله من الخبريّة .

ومن ذلك أيضاً : لفظ الواجب إذا لحقته همزة التّقرير صار نَفْياً ، وإذا لحقه لفظ النّفي عاد إيجاباً نحو : ﴿ آللهُ أذِن لكم ﴾[1] أي لَم يَأذن ، ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكم ﴾[2] أي أنا كذلك .

ومن ذلك ، أن تصف العَلَم ، فإذا أنت فعلت ذلك فقد أخرجته به عن حقيقة ما وضع له ،فأدخله معنًى لولا الصفة لم يدخله إيّاه ،وذلك أنّ وَضْع العَلَم أن يكون مستغنًى بلفظه عن عدّة من الصّفات ، فإذا أنت وصفته فقد سلبت الصّفة له ما كان في أصل وضعه مراداً فيه من الاستغناء بلفظه عن كثير من صفاته . انتهى .

قال ابن يعيش : فإن قيل : هل التّعريف الذي في يا زيد في النّداء تعريف العلميّة بقي على حاله بعد النداء كما كان قبل النّداء أم تعريف حدث فيه غير تعريف العلمية ؟ .

---

(١) يونس / ٥٩ .
(٢) الأعراف /١٧٢ .

فالجواب :أن المعارف كلّها إذا نوديت تنكّرت ، ثم تكون معارف بالنداء ، هذا قول المبرّد، وهو الصواب كإضافة الأعلام . وخالفه ابن السّراج .

وقال الشّلوبين : إذا جمع المؤنث الحقيقيّ جمع تكثير جاز ترك التاء من فعلهنحو:قام الهنود ، لأنه ذهب منه لفظ المفرد فكان الحُكم للطّارىء .

وقال ابن الدّهان في (الغرّة) : المقصور المنصرف يلحقه التّنوين ، وهو ساكن، والألف ساكنة ، فيستحيل الجمع بينهما ، ويجحف الأمر بحذفهما ، ولم نر ساكنين التقيا حُذِفا معاً ، ولا يجوز تحريكُ التّنوين ، لأنه تحريك للساكن إذا كان بعده لا له إذا كان قبله ، ولا تحريكُ الألف ، لأنها تُغيَّر عن صورتها ، فيقع اللّبس بين المقصور وغيره من المهموز . ولا يجوز حذف التّنوين لأنه لمعنىً ، فإذا زال زال المعنى . وأيضاً فإن الطارىء يزيل حكم الثابت؛لأنه لو [٢٣٢] علم أنه إذا جيء به/حذف لم يجأ به ، فلم يَبْق إلا حذف الألف .

* * * *

طَرْد الباب

قـال أبو البقـاء في (التّبيين) : إذا ثبت الحكم لعلّة اطّـرد حُكمُها في الموضع الذي امتنع فيه وجود العلّة : ألا ترى أنك ترفع الفاعل ،وتنصب المفعول في موضع يقطع بـالفَرْق بينهمـا من طريق المعنى ، كما لو قلت: « ضرب الله مثلاً » فإنك ترفع الفاعل وتنصب المفعول مع أن الفاعل والمفعول معقولٌ قطعاً .

قال :ونظيره من المشروع: أن الرّمَل في الطّواف شرع في الابتداء لإظهار الجَلَد ، ثم زالت العلّة وبقي الحكم .

ومثل ذلك العِدّة عن النكاح شرعت لبراءة الرّحم ، ثم ثبتت في مواضع ليس فيها شُغل الرّحم . قال وسبب ذلك أن النّفوسَ تَـأْنَسُ بثُبوت الحكم ، فلا ينبغي أن يزول ذلك الأُنْس .

قال : ونظيره في التصريف :أن الواو في مضارع : (وعـد) و (وزن) حذفت منه لوقوعها بين ياءٍ وكسرة نحوة : (يعد) ثم حذفت من بقيـة حروف المضـارعة مـع عدم العلّة ليكـون الباب على سَنَنَ واحدٍ ، وله نظائر أخرى . انتهى .

وقال ابن عصفور في (شـرح الجمل) : الإعـراب أصل في الأسماء ،لأنه يفتقر إليه للتفرقة بين المعاني نحو : ما أحسن زيداً بنصب (زيد) إن أردت التّعجُّبَ من حُسْنِهِ، وَبِرَفْعِهِ إن أردت نفي الإحسان عنه ، وبرفع أحسن ، وبخفض زيد ،إن أردت الاستفهام عن الأحسن ، ألا ترى أن هذه المعاني لولا الاعراب لا لتسبت ؟

فإن قيل : إن الاعراب قد يوجد في الأسماء غير مفتقر إليه نحو شرب محمدُ الماءَ، وركب الفرسَ عمروٌ، وأشباه ذلـك . ألا ترى أن الفاعل ههنا لا يلتبس بالمفعول إذا أزيل الإعراب ؟ .

فالجواب : أن الإعراب لما افتقر إليه في بعض الأسماء حمل [٢٣٣] سائرها / على ذلك كما أن العرب لما حَذَفَتْ الياء من (يَعِد)، لوقوعها بين ياء وكسرة حذفت من أعِدِ، ونَعِد، وتَعِدُ حملاً على ذلك .

وقال أبو البقاء في (التّبيين) : إذا جرى اسم الفاعل والصّفـة المشبّهة على غَيْرِ مَنْ هُماله وجب إبـراز الضمير فيهمـا مطلقـاً عند البصـريّين ، لأن ترك إبـرازه يقضي إلى اللّبس في بعض المواضـع نحو : زيد عمروٌ وضاربهُ هُو ، واللّبس يزول بإبراز الضّمير،فيجب أن يبرز نَفْياً لِلَّبْس .

ثم يطّرد الباب فيما لا يلبس نحو : زيد هند ضاربته هي ، كما فعلوا ذلك في كثير من المواضع نحو : نَعِد و تعد ، فإنهم حذفوا منها الواو كما حذفوها من (يَعِد) وكذلك يُكْرِم وَنُكْرِمُ وَتُكْرِمُ محمولة

على أُكْرِم .

وقال ابن القوّاس في (شرح ألفيّة ابن معط) : قُدّر الكسرة في المنقوص لاجتماع الأمثالِ ،إذْ الياء بكسرتين والضّم حُمِل[1] على الكسر للمناسبة فيهما بدليل اجتماع أَصْلَيْهما رِدْفَيْن دون الألف ، ولأن الضّمة أثقل من الكسرة بدليل قلب الواو ياءً إذا اجتمعتا مطلقاً . وظهر النّصْب لخفةِ الفتحة ، ولم تَعد الواو في رأيت غازياً وداعياًفيقال :غازِواً وداعِواً ، لثبوت القلب رَفعاً وجرّاً تغلياًللحالتين ،وَطَرْداً للباب .

وقال عبد القاهر : هذا أقيس من حمل :أعد ،وَنَعِد ،وتَعِد ، لأن الحمل المؤدّي لإعلال اللّام أَوْلى من المؤدي لإعلالالفاء ،لأن اللام محلّ التّغيير ، ولأن المنقوص حمل فيه حالة على حالتين ، وباب يَعِد حُمِل فيه ثلاثة أشياء على شيء واحد .

وقال ابن النّحاس في (التعليقة) : من أجاز تقديم خبر ليس عليها دليله : أن (ليس) فعل ناقص مثل أخواتها ، فإذا جوزنا في كان وأخواتها يجوز في ليس أيضاً طَرْداً للباب .

وقال ابن يعيش في (شرح المفصل) : الأصل في نَرَى ويرَى وتَرَى : نَرْأَى ويَرْأى وتَرْأَى ، لأن الماضي منه : رأى ، وإنّما حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال / تخفيفاً ، لأنه إذا قيل : أَرْأى اجتمع همزتان [٢٣٤] بينهما ساكن ، والسّاكن حاجزٌ غير حصينٍ ، فكأنّهما قدتوالتا ،فَحُذِفت الثّانية على حدّ حذفها في أكرم . ثم أتبع سائر الباب ، وفتحت الرّاء

(١) في ط فقط : « حملا » بالتثنية

لمجاورة الألف التي هي لام الكلمة .وغلب كثرةُ الاستعمال هنا الأصلَ حتى هُجِر ورُفِض

وقال ابن فلاح في (المغني) : قلبت الهمزة في صحراء واواً في الجمع نحو : صحـراوات كراهـة الجمع بين عـلامتي تأنيث ، وقلبت في التّثنية طرداً للباب على سنن واحد .

وقال ابن عصفور : (في شرح المقرب) : لمّـا ألحقوا نـون الـوقايـة لِتَقي الفعل من الكسـر ، حملوا على ذلك : يَضْـربانِني ، ويضربونني ، وضرباني وضربوني كما حملوا تَعِد وأخـواته غيـر ذي الياء ، وأكرم وأخواته غير ذي الهمزة على : يعد وأكرم .

وقال بعضهم : إنما بنيت المضمرات لشبهها بالحرف وَضْعاً في كثير منها ، ثم حمل ما ليس كذلك طَرْداً للباب على سنن واحـد . وبهذا بدأ ابن مالك في (شرح التسهيل) .

وعبارة ابن إياز : لأن وضع المضمر بالأصالـة وضع الحـرف الواحد ، ألا تراه على حرف واحد في ضربت ، وضربك ، ثم حمل على ذلك في البناء ما هو أكثر نحو : نحن ، وإياك ، لأن الجميع من باب واحد .

وقال ابن فلاح في (المغني) : إنما أسكنوا آخر الفعل عنـد اتصال تاء الفاعل به نحو ضَرَبْت فِراراً من اجتماع أربع حركات لوازم ،

ثم طرد الباب في ما لم يجتمع فيه أربع حركات نحو : دَحْرَجْتُ تعميماً لِلْحُكم ، لأن الأفعال شرع واحد بدليل تعميم الحُكْم في حذف الواو من (أَعِدُ) ونحوه ، والهمزة من (نكرم) ونحوه ، وإن انتفت عِلّة الحذف .

وقال ابن القوّاس : ذهب الأكثرون : إلى أن متعلّق الظرف والمجرور إذا كان خبراً يقدّر بفعل ، لأنه إذا وقع صلة أو صفة يقدّر بالفعل اتّفاقاً ، فيجب أن يقدر في محلّ الخلاف طرداً للباب .

وقال ابن إياز : المضاف لا يكون إلا أسماً ، لأن الغرض الأهم بالإضافة / تعريف المضاف ، والفعل لا يتعرّف . [٢٣٥]

فإن قيل : هلّا أضيف الفعل للتخصيص ،إذ قد يصحّ ذلك فيه ، ألا ترى أن سوف والسين ، يُخَصِّصانه بالحال .

فالجواب : أنه لما امتنع منه الغرض الأهمّ وهو التّعريف امتنع الآخر طَرْداً للباب .وهذا من قواعدهم .

وقال ألأندلسيّ في شرح (المفصل) : الموجِب لبناء أسماء الاشارة تضمنها معن الحرْف ، وذلك أن الإشارة معنًى كاستفهام وغيره فحقّه أن يوضع له حَرْفٌ ، فلما أدّى هذا الاسم هذا المعنى نيابة عن الحَرْف في ذلك ناسب الحرف فَبُنِي ، ويدلّ على أنه تضمّن هذا المعنى : أنّهم لم يضعوا للإشارة حَرْفاً ، وكان هذا الاسمُ المسموعُ مبنيًّا يفيد معنى الحرف ، فوجب اعتقاد تضمينهم إياه هذا المعنى طَرْداً

لأصولهم ، واقامة سبب لبنائه .

قال ابن جنّي : بني أولاً ، لأنه تضمن حـرف الإشارة ، لأن الإشارة معنى لم يستعملوا لها حَرْفاً فتضمّنها هذا الاسم فَبُنِي .

وقال ابن إياز : وَأَمّـا اسم الإشارة فبني لتضمنّـه معنى حرف الإشارة ،إذْ الإشارة معنىً ، والموضوع لإفادة المعاني الحروف ، فلما أفادت هذه الأسماء الإشارة عُلِم أنّها كان القياس يقتضي أن يكون لها حَرْفٌ ، فلما تضمنت معناه بنيت . وهذا قول السّيرافِي .

قال الأصفهانيّ : فلو قيل : إن ذلك إنّما يتصور في «أولاء» دون «هؤلاء» لظهور الحرف وهو (هاء) ،لأمـكن أن يقال فيه : إن الحرف الذي هو (هاء) غير ذلك الذي تضّمن معناه ، وإن هذا زائـد كما أن الألف والـلام في (الأمس) عند من بنـاه زائدة ، وإنّ الاسم بُنِي لتضمنّه معنى ألف ولام أخرى .

* * * *